وليعيد الوجه الحقيقي للقضية كحركة تحرر وطني، طرفها الاساسي هو الشعب الفلسطيني في مواجهة اسرائيل والصهيونية والامبريالية. وقد استطاعت الثورة الفلسطينية، بالفعل، ومن خلال نضالها السياسي والعسكري ونشاطها الدبلوماسي المكثف، ان تؤكد الشخصية الفلسطينية وتبرزها في المحافل العربية والدولية كقضية تحرر وطني، ونالت منظمة التحرير الفلسطينية اعترافاً عربياً ودولياً.

ولكن، ماذا بعد ذلك ؟

هنا يكمن المأزق، ويبدأ الطريق المسدود؛ ذلك ان الثورة الفلسطينية، وان كانت، من خلال استقلالية القرار الفلسطيني، استطاعت ان تحقق وجودها وتفرض نفسها على مسرح الاحداث، الا انها، في الواقع، وبسبب محدودية امكاناتها، لا تستطيع اتخاذ قرار المعركة الحاسمة، قرار معركة التحرير، منفردة؛ وهنا تكمن محدودية ومرحلية هذا الشعار.

والثورة لن تستمر الى ما لا نهاية كثورة. فهي ثورة لتحقيق اهداف. وتحقيق الهدف مرتبط بالقدرة. وقدرة الثورة على تحقيق هدف التحرير، او ما دون التحرير الكامل، تبقى محدودة. وقد اظهرت معركة بيروت (١٩٨٢) ضرورة وجود قرار عربي حاسم بالرد والتصدي. الا ان غياب هذا القرار دفع الثورة الى خيارات صعبة وحرجة جداً. فهي اما ان تتنازل عن قرارها المستقل، ليس لصالح قرار عربي قومي او لصالح استراتيجية عربية نضالية، نظراً لغياب هذا القرار وهذه الاستراتيجية، ولكن لصالح سياسات عربية اقليمية ولصالح قرارات واستراتيجيات عربية اقليمية لا تضع في سلم اهتماماتها هدف التحرير؛ واما ان تبقى الثورة مستمرة في التشبث باستقلالية القرار الفلسطيني؛ وهذا يعني ان تتعرض الثورة للتصفية، حيث يقف الواقع العربي موقف المتفرج.

لقد تعرضت الثورة الفلسطينية لهذا الخيار الصعب بعد بيروت. وحاولت ان تتهرب من كلا الخيارين السالفين، ففضلت ان تتشبث باستقلالية القرار الفلسطيني وترفض التبعية، او الانضواء تحت أي استراتيجية اقليمية عربية. الا انها، في مقابل هذا الخيار، قدمت الكثير من المرونة والاعتدال، بل يمكن القول التنازلات مقابل هذا. فلكي تتهرب من الوصاية السورية، نسقت علاقتها مع المملكة الاردنية، مع انها كانت تعتبر النظام القائم فيها النقيض الاساسي، الى جانب اسرائيل، للشعب الفلسطيني، حيث تثار الشكوك حول مدى التزام هذه الدولة بتمثيل م.ت.ف. للشعب الفلسطيني. والسؤال الذي قد يثار، ما مدى التزام الاردن باستراتيجية الثورة الفلسطينية وفكرها ؟ وهل الاردن مع استقلالية القرار الفلسطيني القائمة على هذه الاستراتيجية (استراتيجية الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية) وهذه السياسة التي تعتبر م.ت.ف. الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني الذي يسعى لتحرير فلسطين ؟ ام انه مع استقلالية القرار الفلسطيني بمعنى مغاير للمعنى السابق، ولاهداف غير الاهداف الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي اعلنها الميثاق، وطورتها واكدتها المجالس الوطنية الفلسطينية ؟[٦٨].

لكن، كيف وصلت الثورة الفلسطينية الى هذا المأزق في علاقتها العربية ؟

يمكننا القول، دون اصدار احكام مطلقة، ان الخلل في العلاقة كان ثنائي الجانب. فهو خلل في اسلوب التعامل الفلسطيني مع المحيط العربي، وخلل في تعامل وتجاوب حركات التحرر العربية مع الثورة الفلسطينية. اما الخلل في الواقع الرسمي العربي، واقع الانظمة